مقدمة

أتيحت لى فرصة نادرة فى مصاحبة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى رحلة إلى الولايات المتحدة عام ١٩٩٥ ، وكان وقتها يشغل منصب مفتى الديار المصرية ، ثم فى ثلاث رحلات أخرى إلى الهند ، وباكستان عام ١٩٩٦ ، وألمانيا فى عام ١٩٩٧ . كما قمت بزيارة مكثفة إلى بريطانيا عام ١٩٩٧ أيضا . وفى هذه الرحلات لمست عن قرب كيف يتعرض الإسلام لحملة تشويه كبيرة فى كل أنحاء العالم ، حتى فى داخل العالم الإسلامى ذاته .

فى الغرب كانت صورة الإسلام إنه الدين الذى يدعو إلى القتل والاغتيال تحت شعار « الجهاد » ، وإنه الدين الذى يرفض التعايش مع « الآخر » فهو إما قاتل أو مقتول ، وتكتمل الصورة بما أضيف إليها فى الغرب بأن الإسلام مرتبط بالهمجية فى التفكير والسلوك ، ومعاداة التقدم العلمى فى أى مجال ، وإنه دين الجمود والارتباط بالماضى ، والاستهانة بالحاضر ، وتجاهل المستقبل .

وفى الشرق كانت صورة الإسلام مرتبطة بالأساطير والخرافات والمفاهيم المغلوطة ، والفتاوى المسرفة ..

والخلاصة إننى خرجت من هذه الجولات بما دار فيها من حوارات واسعة ، إلى أن الإسلام الآن فى موقف الدفاع ، وإنه محتاج إلى « محام » أو أكثر ، لكى يدافع عنه ، ويقدم الصورة الصحيحة له .. على أن يقدمها للمسلمين أولا قبل أن يقدمها لغيرهم .

ولقد أدى فضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوى واجبه كاملا بما يرضى

الله ، ولن أنسى الساعات الطويلة التى كان يقضيها دون راحة لكى يشرح حقائق الإسلام ويكشف أباطيل خصومه .. وفى كل بلد زارها ترك انطباعا هائلا بأن هذا الوجه السمح الحضارى للإسلام كان غائبا ، وإنه يجب أن يستمر فى هذا الدور إلى أن تزول هذه السحابة الهائلة التى تكاد تظلل العالم كله وتخفى الوجه المشرق للإسلام ..

وفى هذا الكتاب جانب من الحوارات التى شاركت فيها فضيلة الإمام الأكبر .. ولم أستطع أن أسجل كل الحوارات بالتفصيل لأن ذلك كان سيجعل الكتاب أكبر من الحجم المعقول .. وقد فضلت الإيجاز والإشارة وقد أجد فرصة لنشر بقية هذه الحوارات .

وإن كنت قد خرجت من هذه الجولات بقضية أخرى لم أكن منتبها لها بالدرجة الكافية ، وهى وجود روح عدائية تجاه الإسلام متغلغلة منذ عصور قديمة ومستمرة حتى الآن .. وكنت أظن أنها ليست أكثر من محاولات فردية ، أو اجتهادات تكشف جهل أصحابها ، أو ثمرة من ثمار الدعاية السياسية السوداء تجاه الإسلام وبلاد المسلمين .. ولكنى اكتشفت أن الأمر أوسع وأعمق مما تصورت .. ومازلت مشغولا بالبحث عن الجذور ، وربما أستطيع أن أقدم نتائج بحثى فى كتاب آخر .

وأعتقد أن المؤتمر الدولى الذى عقد فى القاهرة فى يوليو ١٩٩٧ تحت عنوان « الإسلام والغرب » كان أهم خطوة لإجراء مصالحة تاريخية بين العالمين الغربى والإسلامى ، فقد شارك فى هذا المؤتمر علماء من الجانبين ، ووفود عن المنظمات الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية .. وكانت كلمة الرئيس حسنى مبارك واضحة فى الإشارة إلى الأخطاء التى وقع فيها الغربيون فى فهمهم للإسلام ، وتوضيحًا لحقيقة هذا الدين الذى ينطوى فى جوهره على التسامح والمحبة لكل البشر ، وكذلك

كانت مشاركة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقداسة البابا شنودة واتفاقهما معا على مفهوم واحد ، هو أن الإسلام لا يحمل عداء للعقائد الأخرى ، ولكنه – على العكس – جاء دعوة لكل البشر ليعاونوا على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان .

وكان هذا الاتفاق بين شيخ الأزهر الذى يمثل قمة المؤسسة الإسلامية ، والبابا شنودة قمة الكنيسة المسيحية بالغ الدلالة على أن الذين يفهمون الإسلام على حقيقته لابد أن يقفوا منه موقف الاحترام مهما اختلفوا معه .

ولابد أن نعترف أن زيارات شيخ الأزهر ، ولقاءاته كانت بداية العمل الحقيقى لتنبيه العالم الغربى إلى حقيقة الإسلام ، ودعوته إلى عدم الانسياق لحملات التشويه المسمومة التى يحركها أهداف ومصالح وأطماع سياسية ، قد أثمر هذا الجهد ، فأصبح الموضوع مطروحا للحوار العام ، يشارك فيه مفكرون وكتاب جدد ، يجتهدون فى البحث عن الحقيقة ، ثم جاء مؤتمر القاهرة ، وبعده ستتوالى لقاءات للحوار الإسلامى المسيحى وربما تظهر دراسات جديدة فى الغرب ، تكشف المبالغة فى التحذيرات السابقة من خطورة الإسلام وتقف موقف الإنصاف من هذا الدين الذى يرفض العدوان بكل صوره .

وكانت الروح الغالبة فى هذا المؤتمر هى الرغبة فى تجاوز الماضى بما فيه من ذكريات مؤلمة للغرب من آثار الفتح الإسلامى وذكريات مؤلمة للعالم الإسلامى من آثار الحملة الصليبية ، والاستعمار القديم والجديد .. ولا أستطيع أن أقول : إن مؤتمرًا واحدًا يمكن أن يزيل آثار الماضى كله ، ولكنه بالتأكيد خطوة جادة تفتح الباب للحوار والتفاهم وإقامة جسور جديدة من الثقة .

وأدعو الله أن يهب العالم الإسلامى من أمثال الدكتور طنطاوى من يقدر على مخاطبة العالم بلغة عصرية يفهمها وتؤكد قرب الإسلام من حقائق العصر وتظهر أنه بحق دين لكل زمان ومكان ، وجزى الله إمامنا الأكبر خيرًا على جهاده وجعل ثمار رحلاته فى ميزان حسناته .

القاهرة فى يوليو ١٩٩٧م .

رجب البنا

obeikandl.com